المذبحة التي تعرّض لها اليهود الروس، اثر اغتيال القيصر الكسندر الثاني، في العام ١٨٨١، والتهمة التي وجّهت اليهم، بصورة رسمية، بالوقوف وراء عملية الاغتيال. ولقد أدّت الاعمال الانتقامية المصحوبة بالعنف المتطرّف الى نزوح يهودي، باعداد ضخمة، نحو الغرب؛ كما نزح حوالى ثلاثة آلاف منهم الى فلسطين.

مع ان الاغراض المعلنة لجمعية «محبة صهيون» كانت انسانية لمساعدة ضحايا عمليات الانتقام والاهتمام بشؤون الحياة اليومية لليهود، غير ان احد اعضائها قام بتشكيل خلايا يهودية سرية اطلق عليها اسم «احباء صهيون»، لتعمل على تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين، واقامة مستوطنات يهودية، واحياء اللغة العبرية القديمة. مؤسس هذه الحركة هو ليون بنسكر، ويعتبره بعض من كتبوا عن الصهيونية السياسية أول من بعث فكرة «الوطن القومي»، التي غرست البذرة الاولى للصهيونية السياسية. هذه الدعوة السياسية، التي تستهدف، بالنهاية، اقامة دولة يهودية جوبهت بمعارضة قوية من قبل عدد من المثقفين اليهود، الذين كانوا يرون ان ما يحتاج اليه اليهود هو خلق يقظة روحية في المجتمعات اليهودية، والعودة الى روح الديانة اليهودية. وكان من ابرز اولئك المثقفين كاتب كان يذيّل كتاباته باسم مستعار هو «آحاد هعام»، الذي كان يرأس، آنذاك، الحركة التي عرفت باسم «الصهيونية الثقافية».

وبعد ان شعرت الدولة العثمانية بما يدبّره اليهود الاوروبيون من مشاريع وخطط للاستيلاء على فلسطين، أصدرت، في سنة ١٨٨٢، قانوناً وضعت بموجبه قيود مشدّدة على دخول اليهود الاجانب الى فلسطين لغير غرض زيارة الاماكن اليهودية المقدسة، على ان لا تتجاوز مدة الاقامة ثلاثة شهور فقط؛ وبذلك احبطت كل محاولة ليهود اوروبا للاستيطان في فلسطين، وقضت على احلام اليهود باقامة دولة على أرضها.

هرتسل والمؤتمر الصهيوني الأول

يعتبر ثيودور هرتسل، اليهودي الهنغاري الجنسية، مؤسس الصهيونية السياسية كبنية عضوية. ولقد اختار، على الرغم من دراسته للقانون في جامعة فيينا، العمل ككاتب وصحفي بدل المحاماة، بعد ان عمل مدة قصيرة في جريدة «دي فيلت»، في فيينا، فأوفدته مراسلاً لها في باريس. في سنة ١٨٩٤، قُدّم ضابط يهودي الى المحاكمة بتهمة الجاسوسية لحساب الالمان والخيانة العظمى.

شعر هرتسل، الذي كان يتابع سير المحاكمة بصورة منتظمة، بصفته الصحفية، لأول مرة، بيهوديته، وتركّز تفكيره على المشكلة اليهودية، فتحوّل، فجأة، من موقع دعاة اندماج اليهود واستيعابهم في مجتمعاتهم الى رأي مناقض وموقع جديد ينادي بأن لا حل للمشكلة اليهودية الاّ في قيام دولة يهودية مستقلة.

لم يكن هرتسل من اليهود المتدينين الذين يؤمنون بالتوراة وأساطيرها، أو نبوءات احباء اليهود القدماء. لذلك، فان حركته الصهيونية، التي ارسى قواعدها في المؤتمر الصهيوني الاول، في العام ١٨٩٧، كانت حركة «قومية سياسية وعلمانية»، هدفها توطين اليهود في بقعة من بقاع الارض بدون ان يصرّ على فلسطين بالذات. وقد أُجري الحديث، في حينه، حول عدد من الاماكن الاخرى، كقبرص والارجنتين واوغندا، يمكن للدولة اليهودية العتيدة ان تقام على أراضيها. امّا شعار «العودة»، الذي تبنّته الصهيونية فيما بعد، فانه كان لغرض اثارة الحماس الديني لدى يهود العالم وتعبئتهم